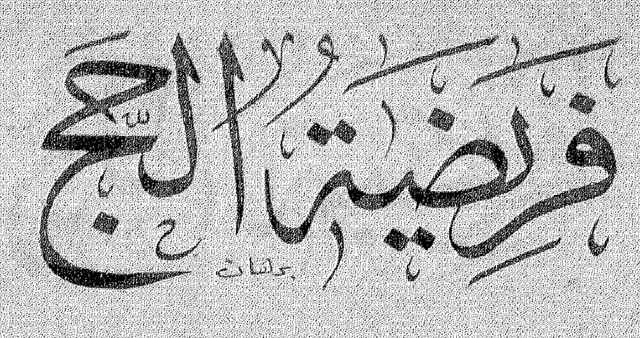


بقلم

عبد الرزاق نوفل



فريضة الحجّ

بقلم

عبد الرزاق نوفل

دار الكتاب العربي

للنشر والتوزيع

بيروت





بسم الله الرحمن الرحيم

هٰذهِ المجموعة .

من السلسلَةِ الإسلاميَّةِ ، إنما تَهْدُف إلى بيان حَقائقِ الإسلامِ وَمَا تحقِّقه عِباداتُه وتكاليفه للفردِ والمجتمع .

وَإن كانت هٰذهِ المجمُوعةُ تتخذُ الطابَعَ العِلْميَّ في مُعَالجَتِها لأُمورِ الإسلامِ ، لأَنَ العلمَ هو طابَعُ هذا العصرِ ولغتُه العالميةَ ، فإن بساطَةَ أُسلوبها تجعلها قادرةً على تحقيق الهدفِ من إخراجها على هذه الصورةِ المبسطةِ ، أَلا وهو وضعها بين أَيدي أَكبر عدد ممن يستطيعونَ قراءَتَها فيتمكنوا من استيعابها ..

وهذا الكتابُ ..

من هذِهِ السلسلةِ وهُوَ (فريضةُ الحج) إنما يهدُف إلى تعريفِ الناس بفريضةِ الحج وأَهدافِها وبيانِ أَحكامها ..

نسأَلُ الله سبحانهُ وتعالى أَن يوفقَنا جميعًا إلى أَدائِها وأَن يجزلَ بها ثوابنا

عبد الرزاق نوفل

٨٠ شارع قصر العيني . القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا [1]).

« صدق الله العظيم »

١ - آية ٩٧ « سورة آل عمران »

الحج أحد أركان الاسلام

الْحجُّ فَرِيضةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حُرٍّ عَاقِلٍ بَالغٍ قَادِرٍ يَسْتَطِيعُ أَدَاءَهَا ، وذلِكَ بِنَصِّ آياتِ القرآنِ الكريمِ التي تَقُولُ :

(وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا[1]) .

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بالحَجِّ يَأْتوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ[2]) .

وَهُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ حَيْثُ قَالَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا »[3] .

والْمسْتَطِيعُ هُوَ مَنْ يَتَمَكَّنُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى مَكَّةَ مَعَ الْأَمْنِ عَلَى نَفْسِهِ ومَالِهِ بِطَرِيقَة مَشْرُوعَة .. وَبِذَلِكَ فإِنَّ شَرْطَ الاسْتِطَاعَةِ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي صَحَّةٍ يَسْتَطِيعُ مَعَهَا تَحَمُّلَ مَشَقَّةِ السَّفَرِ وَعَنَاءِ الارْتِحالِ وأَنْ يُوجَدَ عِنْدَهُ مَا يَكْفِي حَجَّهُ وَعَوْدَتَهُ والإِنْفَاقَ عَلَى مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ حَتَّى عَوْدَتِهِ مِنَ المالِ .. وأَنْ يَأْمَنَ الطَّرِيقَ إِلى الحَجِّ ..

١ – آية ٩٧ «سورة آل عمران»
٢ – آية ٢٧ «سورة الحج»
٣ – رواه البخاري ومسلم وغيرهما

وبِذٰلِكَ فإنَّ الحجَّ عِبَادَةٌ كبَاقي عِبَادَاتِ الْإسْلَامِ وَتكَالِيفِهِ.. لَا تُسَبِّبُ لِلْإِنْسَانِ تَعَبًا وَلَا إِرْهَاقًا بَلْ إِنَّهَا إِنَّمَا تَهْدِفُ كَغَيْرِها مِنَ الْعِبَادَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ إِلَى خَيْرِ النَّاسِ كَأَفْرَادٍ وَمُجْتَمَعٍ .. وَيَجِبُ عَلَى كلِّ إِنْسَانٍ وَقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِ الحَجُّ أَنْ يُسْرِعَ بِأَدَائِهَا .. دُونَ إِبْطَاءٍ وَأَنْ يَكُونَ ضَمِيرُهُ هُوَ الحَكَمَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ تَتحَقَّقْ الاسْتِطَاعَةُ .. إِذْ تَخْتَلِفُ طَاقَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ عَنْ غَيْرِهِ وَكَذٰلِكَ ظُرُوفُ الْوَاحِدِ عَنْ زَمِيلِهِ ..

وَالْحَجُّ عِبَادَةٌ قَدِيمَةٌ ، وَإِذَا لَمْ يُمْكِنِ الْقَطْعُ بِبِدَايَتِهَا تَحْدِيدا فَإِنَّ كُلَّ الْأَدِلَّةِ إِنَّمَا تُؤَكِّدُ أَنَّهَا قَدِيمَةٌ قِدَمَ الإِنْسَانِ نَفْسِهِ ، وَأَنَّهَا قَدْ تَرْجعُ إِلَى عَهْدِ آدَمَ .. فَالْبَيْتُ الْحَرَامُ الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ النَّاسُ هُوَ أَوَّلُ بَيْت وُضِعَ فِي الْأَرْضِ وَجُعِلَ مُتَعَبَّدًا لِلنَّاسِ ، وَذٰلِكَ بِنَصِّ الآيَةِ الشَّرِيفَةِ :

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدَى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) [1] .

وَالْكَعْبَةُ الشَّرِيفَةُ وهِيَ بَيْتُ اللهِ الحَرَامُ وُجِدَتْ قَبْلَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ جَدِّ الْأَنْبِيَاءِ ، إِذْ تُقَرِّرُ آيَاتُ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ أَنَّ

١ - الآيتان ٩٦ - ٩٧ « سورة آل عمران »

سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقَامَ قَوَاعِدَ الْكَعْبَةِ وَذٰلِكَ بِالنَّصِّ الشَّرِيفِ :

(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) [1] .

وبِذٰلِكَ فَقَدْ كانَتْ الْكَعْبَةُ مَوْجُودَةً مِنْ قَبْلِ سَيِّدنا إِبْرَاهِيمَ ، وأَنَّهُ رَفَعَ قَوَاعِدهَا عِنْدَمَا أَمَرَهُ اللهُ سبْحَانَهُ وَتعَالَى ، وَلِهَذَا يَتَرَجَّحُ الرَّأْيُ الَّذي يَقُولُ إِنَّ طُوفَانَ سَيِّدِنَا نُوحٍ قَدْ أَصَابَ أَعَالِيَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ الَّذِي أَقَامَهُ النَّاسُ مِنْ قَبْلُ دُونَ قَوَاعِدِهَا .. أَيْ أَنَّ الكَعْبَةَ وُجدَتْ قَبْلَ سَيِّدِنَا نُوحٍ كذلكَ .. وَبِذٰلِكَ قَدْ يَكُونُ الصَّوَابُ في تَارِيخِ الْكَعْبَةِ مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّهَا قَدْ بُنِيَتْ أَيَّامَ سَيِّدِنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. وَقَامَتِ الملَائِكَةُ بِتَحْدِيدِ مَوْضِعِهَا في مَكَانِهَا تَحْتَ مَرْكَزِ الْعَرْشِ .. وَأَقَامَتْ هَيْكَلَهَا .. فَعِنْدَمَا عَصَى آدَمُ وَحَوَّاءُ رَبَّهُمَا بِأَنْ أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عَنْهَا وَأَحَسَّا بالذَّنبِ ثُمَّ بالنَّدَمِ .. تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَات فَتَابَ عَلَيْهِ ثُمَّ هَبَطَا إِلى الأَرْضِ .. جَعلَ اللهُ لَهُمَا وَلنَسْلِهمَا مِنْ بَعْدِهِمَا مَطَافًا يَطُوفُونَ بِهِ .. يَسْتَغْفِرُونَ بِهِ إِذَا أَذْنَبُوا.. وَيَتَذَكَّرُونَ عِنْدَهُ إِذَا نَسُوا .. وَيَتَعَبَّدُونَ بِأَدَائِهِ كُلَّمَا تَعَبَّدُوا ..

١ — آية ١٢٧ «سورة البقرة»

وَيُقَالُ إِنَّ الْكَعْبَةَ عِنْدَمَا بَنَتْهَا الملائِكَةُ كَانَتْ مُغَطَّاةً بِيَاقُوتَة حَمْرَاءَ رُفِعَتْ بِمَوْتِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .. وَلَمْ يَبْقَ مِمَّا بُنِيَتْ بِهِ الْكَعْبَةُ مِنْ أَحْجَارِ الْجَنَّةِ سِوَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ .. أَوْ مَا يُسمُّونَه بِالْحَجَرِ الأَسْعَدِ .. الَّذي يُقَبِّلُهُ النَّاسُ في الْحَجِّ .

ولقَدْ شَرَّفَ اللهُ مَكَّةَ بِوُجُودِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِهَا تَشْرِيفًا كَبِيرًا حَيْثُ أَقْسَمَ بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كِتَابِهِ الْكَرِيمِ وذَلِكَ في النَّصِّ الشَّرِيفِ :

(لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ) [١] .

وبالْكَعْبَةِ أَصْبَحَتْ مَكَةُ أُمَّ الْقُرَى ، وَذَلِكَ بِنَصِّ آيَات الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِذْ تَقُولُ آيَاتُه الشَّرِيفَةُ :

(وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) [٢] .

ولأَن الله جَلَّ شَأْنُهُ قَدْ أَرادَ بِأَنْ تَكُونَ الكَعْبَةُ سَبِيلَ الثَّوَابِ والأَمَانِ وَذَلِكَ بنصِّ الآياتِ الكَرِيمَةِ :

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا واتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [٣] .

١ – الآيتان ١ - ٢ «سورة البلد»

٢ – الآية ٩٢ «سورة الانعام»

٣ – الآية ١٢٥ «سورة البقرة»

لذلِكَ فَقَدْ وَصَفَ القُرْآنُ الكَرِيمُ مكَّةَ بِالْبَلَدِ الأَمِينِ وذٰلِكَ بِالنَّصِّ الشَّرِيفِ :

(وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِنِينَ . وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)[1] .

ومِمَّا يُؤَكِّدُ حُبَّ سيدنا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لمكَةَ المكَرَّمةِ وَيُشِيرُ إِلَى مكانتِهَا عِنْدَهُ وكَرَامَتِهَا عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ فِيهَا صَلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ عنْدَمَا عَادَ إِلَيْهَا بعْدَ الْفَتْح : « إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ تَعَالَى إِلَيَّ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ لَمَا خَرَجْتُ » .

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَوْلُهُ : « ما مِنْ بَلَدٍ يُؤْخَذ فيهِ الْعَبْدُ بالنِّيَّةِ قَبْلَ الْفِعْلِ إِلَّا مَكةَ . وتَلَا قَوْلَهُ تعَالَى : « وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ » .

وَبِذَلِكَ فإِنَّ الحَسَنَاتِ تُضَاعَفُ فِيهَا .. وكَذٰلِكَ فَإِنَّ السَّيِّئَاتِ تُضَاعَفُ عَلَى مُرْتَكِبِيهَا .

والحَجُّ الْمَفْرُوضُ عَلَى الْإِنْسَانِ هُوَ وَاحِدَةٌ وَمَا زَادَ عَلَيْهَا فَهُوَ تَطَوُّعٌ وللإِنْسَان أَجْرُهُ عَلَيْهِ فَقَدْ خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ فقال : « يا أَيُّها الناسُ إنَّ اللهَ قد فرض عليكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا »

١ – « سورة التين »

فقال رجلٌ : أَكُلَّ عامٍ يا رسولَ الله ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قالَها ثلاثًا . ثم قال : « ذُروني ما تركتكُمْ فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بكثْرةِ سؤَالِهم واختِلافِهِمْ على أَنْبيائِهم فإذا أَمَرتكُم بشيءٍ فأْتوا منه ما استَطَعْتُم واذا نَهيتُكم عن شَيْءٍ فَدَعُوهُ »[1] .

وحتَّى يَتَبَيَّنَ للإنْسَان قَدْرُ الحَجِّ وأَجْرُهُ فَلْيَتَدَبَّرْ قَوْلَ سَيِّدنا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ حينَمَا سُئِلَ : « أَيّ العمـل أَفْضَلُ ؟ » .

قَالَ : « إِيمَانٌ باللهِ وَرَسُولِهِ » .

قِيلَ : « ثُمَّ مَاذَا ؟ » .

قَالَ : « الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ » .

قِيلَ : « ثُمَّ مَاذَا ؟ » .

قَالَ : « حَجٌّ مَبْرُورٌ »[2] .

وما أَوْرَدَهُ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مِنْ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ فَقَالَ : « إِنِّي جَبَانٌ ، وإِنِّي ضَعِيفٌ » .

فَرَدَّ عليْهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ وقالَ : « هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ

١ – رواه مسلم

٢ – رواه البخاري ومسلم

لا شَوْكَةَ فِيهِ .. الحَجِّ » .

وَقَال عليه الصلاة والسلام « الْحَجُّ المبرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزاءٌ إِلّا الجَنَّةَ »[1] .

والْحجّاج في ضَمانِ اللهِ ، فَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هٰذَا الْبَيْتُ دِعَامَةُ الإِسْلَامِ ، فمَنْ خَرَجَ يَؤُمُّ هٰذَا الْبَيْتَ مِنْ حَاجٍّ أَوْ مُعْتَمَر .. كانَ مَضْمُونًا عَلَى اللهِ إِنْ قَبَضَهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ وإِنْ رَدَّهُ ردّه بِأَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ » .

١ – رواه البخاري ومسلم

كيف نؤدّي فريضة الحج

إِذَا صَحَّتْ نِيَّةُ الإِنْسَانِ عَلَى الحَجِّ .. واستَشْعَرَ الاستِطَاعَةَ .. واستَعَدَّ لزيارَةِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ .. فَلا بُدَّ لهُ أَنْ يَتَدبَّرَ حَالَهُ فيما هُوَ مُقْبِلٌ عليه .. فإِنَّهُ سيُصْبِحُ ضَيْفًا عَلَى اللهِ في بَيْتِهِ الكَرِيمِ .. ولذلِكَ فإِنَّهُ يجبُ عَليه أَن يتحلَّل منَ الذُّنوبِ التي يكونُ قَدِ ارْتكَبها بالاسْتِغْفَارِ والنَّدَمِ والتَّوْبَةِ .. وَأَمَّا مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ وغَيْرَهُ مِمَّا يكونُ قَدْ حَصَلَ عَلَيْهِ بِلاوَجْهِ حَقٍّ فإِنَّـهُ يَجبُ عَلَيْهِ رَدُّهُ لِأَصْحَابِهِ إِنْ كَانَ مُسْتَطَاعًا وفِي الْقُدْرَةِ .. فإِنْ اِسْتَحَالَ عَليْهِ ذٰلِكَ فَعلَيْهِ بمُحَاوَلَةِ استِسْماحِ صَاحِبِ الشَّأْنِ .. وعَلَيْهِ بالصَّدَقاتِ يَبْذُلُهَا للفُقَرَاءِ والمُحْتَاجِينَ . . وبِكَثْرَةِ الاستغْفَارِ والصَّلَاةِ والدُّعاءِ والرَّجَاءِ .

وَعَلَى الإِنْسَانِ وهو يَسْتَعِدُّ للحَجِّ أَن يُعِدَّ لِنَفقَتِهِ خَيْرَ مَالِهِ .. فلا يكُونُ فِي مَالِ الحَجِّ أَيَّةُ شُبْهَة مِنْ حَرَامٍ .. وَأَنْ يكونَ مالُهُ منْ حَلال قَدْ أَدَّى زَكَاتَهُ .. وأَخْرَجَ مِنْهُ صَدَقَاتِهِ .. ولم يَحْرِمْ مِنْهُ أَصْحَابَ الحُقُوقِ فِيهِ ، فقدْ قالَ سيدُنا رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم . « إِذَا خَرَجَ الحَاجُّ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَة ووضَعَ رِجْلَهُ فِي المغْرِزِ ، أَيْ (رِكَابِ الدَّابَّةِ) فَنَادَى لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، نَادَاهُ مُنَاد مِنَ السَّمَاءِ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، زَادُكَ حَلَالٌ ، وراحِلَتُكَ حلالٌ ، وحَجُّكَ مبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ ، أَيْ

(لَا إِثْمَ فِيهِ). وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْخَبِيثَةِ فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي المغرزِ فَنَادَى : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : لَا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْكَ ، زَادُكَ حَرَامٌ ، ونفقتُكَ حَرَامٌ ، وَحَجُّكَ مَأْزُورٌ غَيْرُ مَأْجُورٍ ».

وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ وَقَدِ اعْتَزَمَ حَجَّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ أَنْ يَنْوِيَ الْحَجَّ ، وَذَلِكَ بِالْإِحْرَامِ ، فَكُلُّ عِبَادَةٍ مِنْ عِبَادَاتِ الإِسْلَامِ إِنَّمَا تَجِبُ النِّيَّةُ لَهَا حَتَّى يَتَّخِذَ الإِنْسَانُ كَافَّةَ إِجْرَاءَاتِهَا . وَإِعْلَانُ نِيَّةِ الْحَجِّ إِنَّمَا يَكُونُ بِالإِحْرَامِ وَفِيه ينبغي للإِنْسَانِ تَقْلِيمُ أَظَافِرِهِ وَإِزَالَةُ شَعْرِ الْإِبْطِ وَالْعَانَةِ وَقَصُّ الشَّارِبُ ، ثُمَّ الاغْتِسَالُ بِنِيَّةِ الإِحْرَامِ . ثُمَّ يَرْتَدِي إِزَارًا أَبْيَضَ مُكَوَّنًا مِنْ قِطْعَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا تُلَفُّ حَوْلَ الْوَسَطِ لِسَتْرِ الْعَوْرَةِ ، وَالثَّانِيَةُ مِنْ فَوْقِ الْكَتِفَيْنِ لِتُغَطِّي الصَّدْرَ وَالظَّهْرَ ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ للهِ تَعَالَى سُنَّةَ الإِحْرَامِ ثمّ يُحْرِمْ ، ونِيَّةُ الإِحْرَامِ تختلفُ بِحَسَبِ عَزْمِ الحاجِّ فمن أَرادَ أن يُحْرِمَ بالحجِّ وحدَهُ قال : اللهم إني نَوَيْتُ الحجَّ فيسِّرْهُ لي وتقبَّلْهُ منِّي لبيك اللهم لبيك إلخ.. وإذا أراد الإحرام بالحجِّ والعُمْرَةِ معًا قال : نَوَيْتُ الحجَّ والعمرةُ وأحرمت بهما لله تعالى. وإذا أراد الإحرامَ بالعمرة وحدها قال : نويتُ العمرةَ وأحرْمتُ بها لله تعالى . ثم يقول بعد النية : لبيك

اللهم لبيك الخ . ولِلإِحْرَامِ لِلْحَج مَوْعِدٌ زَمَانيّ يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ فِيهِ فِي الثَّلاثَةِ الأَشْهُرِ : شَوَّال وذِي القَعْدَةِ وذِي الحِجَّةِ إِذْ يُمْكِنُ للإِنْسَانِ أَنْ يُحْرِمَ للحجِّ في أي يَوْم مِنْ أَيَّامِ هٰذِهِ الثَّلاثةِ الأَشْهُرِ بشَرْطِ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ حُلُولِ شَعَائِرِ الحَجِّ ، ولا يُحْرَمُ للحجِّ فِي غَيْرِهَا . وَلَهُ مِيقَاتٌ مَكَانيٌّ هُوَ (رَابِغٌ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الأَحْمَرِ للحُجَّاجِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ والمسَافِرِينَ بالْبَحْرِ إِلَى مَكَّةَ مُبَاشَرَةً ، وَأَمَّا رُكَّابُ الطَّائِرَاتِ فَإِنَّهُمْ يَتَهَيَّأُونَ للإِحْرَامِ بالاغْتِسَالِ وإِزَالَةِ شَعَثِهِمْ ولبْسِ مَلابِسِهِمْ قَبْلَ رُكُوبِهِمْ وَمِنْهَا يُحْرِمُونَ إِذَا كَانَتْ وِجْهَتُهُمْ جُدَّةَ فَمَكَّةَ مُبَاشَرَةً ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَتَوَجَّهُونَ لِزِيارَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ قَبْلَ الحَجِّ فإِحْرَامُهُمْ بَعْدَ الزِّيَارَةِ وعِنْدَ عَوْدَتِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَمِنْ بلْدَةِ (ذِي الْحُلَيْفَةِ) . المعروفة بآبار علي.

وَمَحْظُورٌ عَلَى مَنْ أَحْرَمَ الرَّفَثُ وَهُوَ مُبَاشَرَةُ النِّسَاءِ ، والفُسُوقُ ، وهُوَ اقْتِرَافُ الْمَعَاصِي ، والجدَالُ ، وَهُوَ إِثارةُ الشِّقَاقِ والْخِصَامِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَذٰلِكَ بِنَصِّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي تَقُولُ :

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جدَالَ في الْحَجِّ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ).[1]

ويُحْظَرُ عَلَى الرَّجُلِ لُبسَ الْمَخِيطِ مِنَ الْمَلَابِسِ ، وَلَا تَلْبَسُ الْمَرْأَةُ النِّقَابَ وَلَا تُخْفِي وَجْهَهَا إِلَّا إِذَا خَشِيَتِ الْفِتْنَةَ ، وَلَا تَلْبَسُ الْقُفَازَ. وَلَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مَا يُحِيطُ جِسْمَهُ بِالْخِيَاطَةِ كَالْقَمِيصِ أَوِ السِّرْوال ، أَوْ بِالْخَصْفِ كَالْقُفَّازِ والخُفِّ والنَّعْلِ، أَوْ بالصِّيَاغَةِ كَالْخَاتم وَحَلْقَةِ الأُذُنِ ، أَوْ بالنَّسِيج كَالْجَوْرَبِ وكَذَا الدِرْعْ .. وَيُحْظَرُ عَلَى الْمُحْرِمِ اسْتِعْمَالُ الرَّوائِحِ فِي بَدَنِهِ أَوْ ثَوْبِهِ أَوْ شَمِّهَا ، وكذلِكَ إِزَالَةُ الشَّعْرِ أَوْ تَقْلِيمُ الأَظَافِرِ وَقَتْلُ صَيْدِ البَرِّ أَوْ صَيْدُهُ وَقَطْعُ شَجَرِ الحَرَمِ أَوْ نَبَاتِهِ وَتَغْطِيَةُ الرَّأْسِ بِمَا يَلْتَصِقُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ تَحْتَ خَيْمَةٍ أَوْ شَمْسِيَّةٍ أَوْ مَا يُمَاثِلُهَا .. وَيُحْظَرُ الزَّوَاجِ لِلمُحْرِمِ .. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ إِذَا ارْتَكَبَ الإِنْسَانُ مَحْظُورًا مِنْهَا فَعَلَيْهِ فِدْيَةٌ إِمَّا ذَبْحُ شَاة أَوْ إِطْعَامُ سِتَّةِ مَسَاكِينَ أَوْ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، إِلَّا فِي حَالَةِ الْجِمَاعِ حَيْثُ يَبْطُلُ الحَجُّ. ويَجِدُ القارِيُ تَفصيلَ ذلك في كُتُبِ الفِقْهِ.

وَمَتَى أَحْرَمَ الإِنْسَانُ بالنِّيَّةِ والاغْتِسَالِ وَجَبَ عَلَيْهِ الْجَهْرُ عَقِبَ ذَلِكَ بِتَلْبِيَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهِيَ : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .. لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ . إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ

١ – الآية ١٩٧ «سورة البقرة»

لَكَ وَالْمُلْكَ . لَا شَرِيكَ لَكَ » . وَيُسْتَحَبُّ تَجْدِيدُ هٰذِهِ التَّلْبِيَةِ مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ وتَكْرَارُهَا عِنْدَ مُلَاقَاةِ الزُّمَلَاءِ وَعَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ ، وَعِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ وَعِنْدَ تَغْيِيرِ حَالِ الإِنْسَانِ كَصُعُودِ مَكَانٍ عَالٍ أَوِ الْهُبُوطِ مِنْهُ وَتَكُونُ التَّلْبِيَةُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ وتَسْتَمِر إِلَى طَوَافِ الْقُدُومِ وَالسَّعْي ، وَبَعْدَهُ يَرْجِعُ الإِنْسَانُ إِلَى التَّلْبِيَةِ حَتَّى زَوَالِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ ، حَيْثُ يَقْطَعُهَا الحَاجُّ وَلَا يَعُودُ إِلَيْهَا إِلَّا فِي حَجٍّ آخَرَ .

والإِحْرَامُ عِلَاوَةً عَلَى أَنَّهُ يُعْتَبَرُ بِدَايَةَ شَعَائِرِ الحَجِّ وَإِعْدَادِ الإِنْسَانِ لِأَدَائِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى مَعَانٍ كَبِيرَةٍ وَيَهْدُفُ إِلَى دُرُوسٍ وَعِبَرٍ كَثِيرَةٍ .. فَفِيهِ يَتَجَرَّدُ الإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ مَا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَا ذَهَبَ وَلَا حُلِيَّ وَلَا جَوَاهِرَ وَلَا تَطَيُّبَ وَلَا عَرَضَ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا قَدِ الْتَفَّ النَّاسُ جَمِيعًا بِإِزَارٍ أَبْيَضَ بِهِ يَتَسَاوَوْنَ فِي الشَّكْلِ .. وَقَدْ نَفَرُوا جَمِيعًا لِزِيَارَةِ بَيْتِ اللهِ مُتَجَرِّدِينَ مِنْ كُلِّ جَاهٍ أَوْ حَسَبٍ وَمِنْ كُلِّ زِينَةٍ أَوْ نَسَبٍ .. فَمَا أَقْرَبَ الشَّبَهَ بَيْنَ ذٰلِكَ الْجَمْعِ فِي هٰذِهِ الْعِبَادَةِ وَبَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ النَّاسُ هَكَذَا لَا مَالَ وَلَا بَنِينَ وَلَا سَيِّدَ أَوْ مسودًا وَلَا غَنِيَّ أَوْ فَقِيرًا .. كُلُّهُمْ عِبَادُ اللهِ وَكُلُّهُمْ فِي الحِسَابِ يَوْمَ الحِسَابِ .. عِنْدَمَا يَعِيشُ الإِنْسَانُ فِي هٰذَا الْجَوِّ الَّذِي

يُذَكِّرُهُ إِيجَابِيًّا بِالْقِيَامَةِ وَالْحِسَابِ . . أَلَا يُعَاوِدُ النَّظَرَ فِعْلًا فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ وَمَا يَتَّخِذُهُ اسْتِعْدَادًا لِهَٰذَا الْيَوْمِ ؟

وَلِأَنَّ هَٰذَا الاجْتِمَاعَ يَضُمُّ مِئَاتِ الْأُلُوفِ بَلِ الْمَلَايِينَ فَإِنَّ الإِسْلَامَ كَدَأْبِهِ دَائِمًا فِي الْحِرْصِ عَلَى أَهْلِهِ قَدْ مَنَعَ الْحُجَّاجَ مِنْ لُبْسِ أَيِّ مَخِيط قَدْ يَكُونُ السَّبِيلَ إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَشَرَاتُ بُوَيْضَاتِهَا مِمَّا تَنْتَقِلُ معه الْعَدْوَى وَالْمَرَضُ. وَحَرَصَ عَلَى إِزَالَةِ كُلِّ شَعَث لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَظَافِرَ أَوْ شَعْرٍ ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ الاسْتِحْمَامَ عِلَاوَةً عَلَى الْوُضُوءِ ، وَحَرَّضَ الْمُسْلِمَ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا عَلَى وُضُوءٍ فَهُوَ دَائِمُ التَّلْبِيَةِ ودَائِمًا عَلَى ذِكْرِ اللهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ . . ويُقَرِّرُ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ أَنَّ الإِحْرَامَ قَطْعًا أَفْضَلُ مِنْ كَافَّةِ الْوَسَائِلِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُتَّخَذَ لِحِمَايَةِ الاجْتِمَاعَاتِ مِن شَرِّ أَيَّةِ أَمْرَاضِ كَرَشِّ الْمَحَالِيلِ الْمُطَهِّرَةِ وَدَوامِ تَنْظِيفِ الْأَمَاكِنِ . . فَالْوِقَايَةُ مِنْ وُجُودِ أَسْبَابِ الْمَرَضِ خَيْرٌ مِنْ مُقَاومَتِهَا .

وبِمُجَرَّدِ أَنْ يَدْخُلَ الإِنْسَانُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ فَلَا بُد أَن يُبَادِرَ بِالذِّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . والأَفْضَلُ أَنْ يَدْخُلَه مِنْ بَابِ السَّلَامِ ، فَإِذَا مَا وَقَعَ نَظَرُ الإِنْسَانِ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَهُوَ الْكَعْبَةُ الشَّرِيفَةُ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَمَهَابَةً وَتَكْرِيمًا وَزِدْ مَنْ شَرَّفَه وَعَظَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهُ أَوِ اعْتَمَرَهُ

تَشْرِيفًا وتَعْظِيمًا ومَهَابَةً وَتَكْرِيمًا » ، ثُمَّ يَبْدَأُ الطَّوَافَ وَهٰذَا طَوَافُ الْقُدُومِ وَهُوَ تَحِيَّةٌ لِلْمَسْجِدِ الشَّرِيفِ والْبَيْتِ الْكَرِيمِ ، وَثَوَابُهُ كَبِيرٌ وَأَجْرُهُ عَظِيمٌ ، والطَّوَافُ أَنْ تَدُورَ حَوْلَ الكَعْبَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ مُبْتَدِئًا فِي كُلِّ شَوْطٍ مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ مُنْتَهِيًا إِلَيْهِ ، وأَنْ تَبْدَأَ بِتَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِذَا أَمْكَنَ ، فإِنْ لَمْ يُمكِنْ فَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ ، فإِنْ لم يُمْكِنْ فَأَشِرْ إِلَيْهِ بِيَدِكَ وَقَبِّلْهَا .. وَتَقُولُ : « بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ إِيمانًا بكَ وَتَصْدِيقًا بكِتَابِكَ ووَفَاءً بِعَهْدِكَ واتِّبَاعا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . وَيَجِبُ فِي البَدْءِ أَنْ تُحَاذِيَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ بِجَمِيعِ بَدَنِكَ ثُمَّ تَطُوفَ جَاعِلًا الْكَعْبَةَ الشَّرِيفَةَ عَنْ يَسَارِكَ ، وَيَجِبُ الإِسْرَاعُ فِي الأَشْوَاطِ الثَّلَاثَةِ الأُولِ فتكونَ فَوْقَ الْمَشْيِ وَدُونَ الْجَرْيِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ وَسَطَ رِدَائِهِ تَحْتَ إِبْطِهِ الأَيْمَنِ وَيُلْقِيَ الطَّرَفَيْنِ عَلَى الْكَتِفِ الْيُسْرَى وَهٰذَا هُوَ الاضْطِبَاعُ أَيْ إِزَاحَةُ لِبَاسِ الإِحْرَامِ عَنِ الْكَاهِلِ الأَيْمَنِ لِيَكُونَ تَحْتَ العَضُدِ وَهَكَذَا فَعَلَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصْبَحَتْ سُنَّةً عَنْهُ فَفِي الْحُدَيْبِيَةِ حِينَمَا رَأَى المشْرِكُونَ المسْلِمِينَ قَالُوا فِي شَمَاتَةٍ إِنَّ مُحَمَّدًا وأَصْحَابَهُ قد أَوْهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ فلا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ مِنَ الضَّعْفِ والْهُزَالِ أَمَرَ الرَّسُولُ العزيزُ

أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْمُلُوا فِي الأَشْوَاطِ الثَّلاثَةِ الأُولِ وأَنْ يَضْطبعُوا وذلِكَ إِظْهَارًا للنَّشَاطِ والقُوَّةِ ، وقَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « رَحِمَ اللهُ أمْرًا أَرَاهُمُ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّة » ، وهكَذَا أَصْبَحَتْ سُنَّةً يَقُومُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ إِعْلانًا لِقُوَّتِهِمْ وَنَشَاطِهِمْ أَمَامَ كُلِّ مَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسَهُ بِعُدْوان عَلَى الإِسْلامِ أَوِ الْمُسْلِمِينَ .

وَفِي أَثْنَاءِ الطَّوَافِ يَنْبَغِي أَنْ تَقُولَ : « سُبْحَانَ اللهِ ، والْحَمْدُ للهِ ، ولَا إِله إِلَّا اللهُ ، واللهُ أَكْبَر ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ » ، ولَكَ أَنْ تَدْعُوَ بِمَا شِئْتَ وأَنْ تَتْرُكَ قَلْبَك يُتَرْجِمُ عَوَاطِفَهُ وَنَفْسَكَ تُعْلِنُ عَمَّا بِهَا وَأَلَّا تَشْغَلَ عَقْلَكَ وفِكْرَكَ وبَالَكَ بِمَا يُلَقِّنُهُ صِبْيَةُ المطَوِّفِينَ مِمَّا لَا يَفْقَهُونَ مَعْنَاهُ وَلا يَعْلَمُ الْمُرَدِّدُونَ بَعْدَهُمْ مَا فِيهِ .. فَإِنَّ الدُّعَاءَ والضَّرَاعَةَ والرَّجَاءَ إِنَّمَا مِنَ الْقَلْبِ تَنْبعُ .. ومِنَ العَيْنِ الَّتِي تَدْمَعُ .. والأَفْضَلُ الاقْتِصَارُ عَلَى الدُّعَاءِ الوارِدِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ مثل : (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[1] ، والأَدْعِيَةِ الوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ مثل : « اللَّهُمَّ إِنِّي آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ »

وَبَعْدَ إِتْمَامِ الشَّوْطِ السَّابِعِ يَتَّجِهُ الإِنْسَانُ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ

١ - الآية ١ - ٢ « سورة البقرة »

وَهوَ الْحَجَرُ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وَهُوَ يرْفَعُ الْقَوَاعِدُ مِنْ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ وَيَدْعُو اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ وذَلِكَ بالنَّصِّ الشَّرِيفِ :

(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمِ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِيْنِ لَكَ ومِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١) .

وَيُصَلِّي فِي هَذَا الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ حَيْثُ يَأْمُرُنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بذَلِكَ بالنَّصِّ الكَرِيمِ .

(وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) (٢) .

ثُمَّ يَتَّجِهُ الإِنْسَانُ إلى زَمْزَمَ لِيَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا الْمُبَارَكِ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ ذَ كِرًا اللهَ سُبْحَانَهُ وتعالَى ، ويَشْرَبُ حتى يَرْتَوِيَ تَمَامًا وَيَتَضَلَّعَ – أَيْ يَمْتَلِئُ الإِنْسَانُ بالمَاءِ حتى يَبْلُغَ الماءُ الأَضْلَاعَ – وَهَذِهِ دَعْوَةٌ لِتَمَامِ الارْتِوَاءِ ، فإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ يَحْمَدُ

١ – الآيات ١٢٧ – ١٢٩ «سورة البقرة»   ٢ – الآية ١٢٥ «سورة البقرة»

اللهَ وَيشْكُرُهُ . وفي مَاءِ زَمْزَمَ مُعْجزَاتٌ كَثِيرَةٌ فَهُوَ لِمَا شُرِبَ لَهُ ، يَشْرَبُهُ الْجَائِعُ فَيشْبَعُ ، وَيشْرَبُهُ الظَّمْآنُ فَيَرْوِيهِ ، ويَشْرَبُه الْمُضْطرِبُ فَيَهْدَأُ ، وَيَشْرَبُهُ الْمُعْتَلُّ فَيَشْفَى بِإِذْنِ اللهِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . « ماءُ زَمْزَمَ لمَا شُرِبَ له . إِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي شَفَاكَ اللهُ . وإِنْ شَرِبْتَهُ لشبَعك أَشْبَعَكَ اللهُ . وإِنْ شَرِبْتَهُ لَقَطْعِ ظَمَئِكَ قطعَهُ اللهُ . وَهِيَ هَزْمَةُ (حُفْرَةُ) جبْرَائيل وسُقْيَا الله لإِسْمَاعِيلَ » .

وَبعْدَ زَمْزَمَ يَذْهَبُ الإِنْسَانُ إِلَى الْمُلْتَزَم وَهُوَ حَائِطُ الْكَعْبَةِ بَيْنَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ وَبَابِهَا ويُلْصِقُ صَدْرَهُ ووجْهَهُ بالْجِدَارِ رافِعًا يَدَيْهِ يَتعَلَّقُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وعِنْدَهَا تَنْهَمِرُ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْني الإِنْسَانِ حَارَّة صَادِقَةً وَيَجْأَرُ بالدُّعَاءِ ، فَهُوَ فِي مَوْقِفِ الضَّرَاعَةِ والسُّؤَالِ فِي مَكَانٍ لَا يَسْأَلُ الإِنْسَانُ فِيهِ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ .

وَيُغَادِرُ الإِنْسَانُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لِيُؤَدِّي شَعِيرَةَ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا والْمَرْوَةِ ، وَذَلِكَ بِنَصِّ آيات القُرْآنِ الكَرِيمِ الَّتي تَقُولُ :

(إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [1] .

١ - الآية ١٥٨ « سورة البقرة »

والسَّعْيُ بَيْنَهُمَا سَبْعَةَ أَشْوَاط إِذْ يَبْدَأُ الْإِنْسَانُ من الصَّفَا حَيْثُ يَصِلُ إِلَى المَرْوَةِ وَتُعْتَبَرُ هٰذه مرَّةً مِنَ السَّبْعِ ، ثُمَّ الْعَوْدَةُ مِنَ المَرْوَةِ إِلَى الصَّفَا وَتُعَدُّ مَرَّةً أُخْرَى وفي السَّبْعَةِ الأَشْوَاطِ يَظَلُّ الْإِنْسَانُ في تَهْلِيلِهِ وَتَكْبِيرِهِ والدُّعَاءِ بِخَيْرَي الدُّنْيَا والآخِرَةِ .

وفي هٰذَا السَّعْيِ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَذَكَّرَ أَوَّلَ سَعْيٍ تَمَّ بَيْنَهُمَا فَيَطْمَئِنَّ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ الواسِعَةِ وَيُؤْمِنَ بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ ، فَسَارَةُ زَوْجَةُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ كَانَتْ عَقِيمًا لَا تَلِدُ ، فَلَمَّا وَجَدَتْ مِنْ زَوْجِهَا لَهْفَةً عَلَى الْوَلَدِ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ بِجَارِيَتِهَا هَاجَرَ لَعَلَّهَا تُنْجِبُ لَهُ مَنْ يُؤْنِسُ وَحْدَتَهُمْ .. فَيَسْعَدَ زَوْجُهَا وَتَقَرَّ عَيْنُهُ .. فَلَمَّا أَنْجَبَتْ هَاجَرُ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ سَيِّدَنَا إِسْمَاعِيلَ وَفَرِحَ بِهِ جِدًّا وأَحَبَّهُ حُبًّا شَدِيدًا واتَّجَهَ بالحُبِّ إِلَى أُمِّهِ يَرْعَاهَا وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا .. دَبَّتِ الْغَيْرَةُ في قَلْبِ سَارَةَ وَخَافَتْ عَلَى نَفْسِهَا أَنْ يَهْجُرَهَا زَوْجُهَا فَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُقْصِيَ هَاجَرَ وابْنَهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيد .. وَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ الطَّلَبَ .. إِلَى أَنِ اسْتَجَابَ لَهَا هَاجَرَ عاجَزَ وإِسْمَاعِيلَ وسَارَ بِهِمَا حَتَّى بَعُدَتْ عَلَيْهِمْ الشُّقَّةُ ووجَدَ مَكَانًا قَفْرًا .. صَحْرَاءَ .. لَا غِذَاءَ ولا مَاءَ .. وتَرَكَهُمَا سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ وهاجَرُ تَسْتَعْطِفُهُ لَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهَا ولٰكِنْ مِنْ أَجْلِ طِفْلِهَا .. ووقَفَ

الرَّجُلُ الْعَجُوزُ فِي الصَّحْرَاءِ يَتْرُكُ وَحِيدَهُ الطِّفْلَ وزَوْجَتَه فِي رِعَايةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَما فعَلَهُ إِنَّمَا كانَ استِجَابَةً لِوَحْيِ اللهِ لَهُ وَكُلُّ ما فَعَلَهُ أَنَّهُ اتَّجَهَ بِقَلْبِهِ ووِجْدَانِهِ ودُمُوعِهِ ولِسَانِهِ للهِ سُبْحَانَهُ يَدْعُوهُ لِوَحِيدِهِ ويَقُولُ .

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [1] .

ولقدْ امْتَثَلَتْ هَاجَرُ لِقَضَاءِ اللهِ وَصَبَرَتْ لإِرَادَتِهِ واعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ ولجَأَتْ إِلَيْهِ . وانْتَهَى زَادُهَا مِمَّا كانَتْ أَعَدَّتْهُ .. ونَضَبَ الْمَاءُ مِمَّا كَانَتْ حَمَلَتْهُ .. وجَفَّ لَبَنُهَا وعَطِشَ ولِيدُهَا .. وصَرَخَ طِفْلُهَا يُنَادِي عَلَى الْغِذَاءِ والْمَاءِ .. فَهَرْوَلَتْ تَبْحَثُ عَمَّا يَسُدُّ رَمَقَ وَلِيدِهَا .. هُنَا وهُنَاكَ فِي كُلِّ مَكَان .. ولَكِنْ لا إِنْسَانَ ولا حَيَوانَ .. ولا طَائِرَ .. ولا مَنْ يُؤنِسُ الصَّحْرَاءَ .. صَعِدَتْ إِلَى جَبَلِ الصَّفَا تَنْظُرُ منْ فوقِهِ . فلم تَجد ما تَطْلُبُهُ وهَيَّأَ لها وهْمُها أَنَّ الماءَ عَلَى جَبَلٍ مُقَابِلٍ هُوَ الْمَرْوَةُ .. فأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ لتجِدَهُ السرَابَ .. ونظرتْ مِنْ فَوْقِهِ لِيُضَلِّلَهَا السَّرَابُ أَنَّ بُغْيَتَهَا عَلَى الصَّفَا .. فَهَرْوَلَتْ إِلَيْهِ وعَادَتْ .. ثُمَّ هَرْوَلَتْ وعَادَتْ سَبْعَةَ أَشْوَاط سعَتْهَا هَاجَرَ. تُبَلِّلُ الصَّحْرَاءَ بِدَمْعِهَا .. وتُرَدِّدُ الْجبالُ

١ – آية ٣٧ « سورة البقرة »

صُراخَهَا .. وهِيَ لَا تَنِي عَنْ ذِكْرِ اللهِ والضَّراعَةِ لَـهُ والدُّعَاء حَارَّ الدُّعَاءِ .. وتُنَاديه بقَلْبٍ صَادِقٍ ونَفْسٍ مُطْمَئِنَّة .. وَبَدَأَ الطِّفْلُ يَضْرِبُ الأَرْضَ بِرِجْلَيْهِ الْهَزِيلَتَيْنِ الضَّعِيفَتَيْنِ يطلبُ الماءَ .. فَيَتَفَجَّرُ الماءُ من الحَجَرِ تَحْتَ قَدَمِ الطِّفْلِ .. ويظْهَرُ لهاجَرَ مَلَاكٌ يملأُ ما بَيْنَ السّماءِ والْأَرْضِ ويَقُولُ لَهَا : زُمِّي .. زمِّي .. أَيْ حُوطِي الماءَ بِمَا يَجْعَلُهُ عَيْنًا .. وسُمِّيَتِ الْعَيْنُ لِذٰلِكَ زَمْزَمَ .. وحوَّم الطَّيْرُ عَلَى الماءِ وشَاهَدَهُ الضَّارِبُونَ في الصَّحْرَاءِ .. الْمُرْتَحِلُونَ في القِفَارِ .. فاتَّجَهُوا إِلى الْعَيْنِ .. وأَصْبَحَتْ مَحَطَّ أَنْظَارِ الغَادِينَ والرَّائِحِينَ .. وعَمَرَتِ الصَّحْرَاءُ وازْدَحَمَ الْمَكَانُ بالنَّاس .

فَلَا بُدَّ للسَّاعِي بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَنْ يَتَذَكَّرَ كُلَّ ذٰلِكَ .. وَيَتَذَكَّرَ اسْتِجَابَةَ نَبِيِّ الله ورَسُولِهِ سَيِّدنَا إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوَحْيِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .. يَتْرُكُ وَحِيدَهُ الطِّفْلَ فِي الْعَرَاءِ .. بِلَا مُعِينٍ غَيْرِ اللهِ .. وَيَذْهَب بِهِ إِلَى الْخَلَاءِ .. مُحْتَسِبًا أَجْرَهُ عِنْدَ اللهِ .. وَيَتَذَكَّرَ اعْتِمَادَ هَاجَرَ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ وَسَعْيهَا فِي سَبِيلِ الماءِ لِوَلِيدِهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ بَيْنَ الصَّفَا والْمَرْوَةِ .. وَيَتَذَكَّرَ قَدْرَ رَحْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِبَادِهِ والَّتي مِنْ بَعْضِ صُورِهَا أَنْ أَرَادَ اللهُ وشَاءَ سُبْحَانَه فَفَجَّرَ بِأَمْرِهِ الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ

تَحْتَ قَدَمَيّ الصَّغِيرِ .. وَشَرِبَ مِنْهُ الطِّفْلُ وَشَرِبَتْ مِنْهُ أُمُّهُ .. وَشَرِبَتْ مِنْهُ مِئَاتُ الْمَلَايِين مِنَ الْبَشَرِ عَلَى مَدَى آلَافِ السِّنِينَ وَمَا زَالَتْ .. وَسَتَظَلُّ تَشْرَبُ مِنْهُ .. وَلَنْ يَنْفَدَ الْمَاءُ .. وَلَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ النَّاسُ .. فَهٰذِهِ مَشِيئَةُ اللهِ وَإِرَادَتُهُ .. جَلَّ شَأْنُهُ .

وَبَعْدَ السَّعْيِ يَخْرُجُ الإِنْسَانُ إِلَى مِنًى قَبْلَ الزَّوَالِ وَذٰلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ (وَيُسَمَّى يَوْمَ التَّرْوِيَةِ) فِي طَرِيقِهِ إِلَى عَرَفَاتٍ حَيْثُ يَبِيتُ فِي مِنًى وَيمكُثُ فِيهَا إِلَى فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَالْهَدَفُ مِن الْخُرُوجِ إِلَى مِنًى وَالْمَبِيتِ فِيها هُوَ التَّخْفِيفُ عَلَى حُجّاجِ بَيْتِ اللهِ مِنْ مَشَاقِّ الرِّحْلَةِ إِلَى عَرَفَاتٍ ، ولِذٰلِكَ فإِنَّ بَعْضَ الْحُجَّاجِ يَبِيتُونَ فِي مَكَّةَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ بَدَلًا مِنَ الْمَبِيتِ فِي مِنًى حَيْثُ يَقْصِدُونَ إِلَى عَرَفَاتَ مُبَاشَرَةً ، وَذٰلِكَ ،لِتَوَافُرِ وَسَائِلِ الانْتِقَالِ حَالِيًّا وَإِمْكَانِ الْوُصُولِ إِلَى عَرَفَات فِي يُسْر وسُهُولَةٍ وبِلَا أَدْنَى مَشَقَّة .

وَيَبْدَأُ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ مِنْ بَعْدِ طُلُوعِ شَمْسِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ لِذِي الْحِجَّةِ .. وَفِيهِ يُلَبِّي الإِنْسَانُ وَيُسَبِّحُ ويَتَّجِهُ إِلَى اللهِ بِقَلْبِهِ وَنَفْسِهِ ووِجْدَانِهِ .. كُلُّهُ دُعَاءٌ وَكُلُّهُ ضَرَاعَةٌ وَرَجَاءٌ .. يَدْعُو اللهَ بِمَا يَشَاءُ ، فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ فَلَبُّوا الدَّعْوَ ووَقَفُوا بِعَرَفَةَ ، فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم

قالَ .. « أَعْظَمُ النَّاسِ ذَنْبًا مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ وَظَنَّ أَنَّ اللهَ لَمْ يَغْفِرْ ذُنُوبَهُ » . ولِذَلِكَ فَإِنَّ الحَاجَّ وهُوَ يَسِيرُ إِلَى عَرَفَاتٍ يَقُول « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَوَجَّهتُ وإِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمُ أَرَدْتُ فَاجْعَلْ ذَنْبِي مَغْفُورا وحَجِّي مَبْرُورًا وارْحَمْنِي ولا تُخَيِّبْنِي إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .. وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلَيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .. إِنَّ أَكْثَرَ دُعَاءِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ هُوَ .

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كالَّذِي نَقُولُ وخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ

« اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ ومَمَاتي وَإِلَيْكَ مآبي ولَكَ رَبِّ تُرَاثِي » .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .. وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ .. وشَتَاتِ الْأَمْرِ .. »

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَهُبُّ بِهِ الرِّيحُ » .

ويُفِيضُ الحُجَّاجُ مِنْ عَرَفَاتٍ لِيَصِلُوا إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ لَيْلًا ، وَالْمَبِيتُ بِهَا يُسْتَحَبُّ فَإِذَا طَلَعَ فَجْرُ يَوْمِ العِيدِ وَصَلَّى الْحُجَّاجُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَقَفُوا بِالْمَشْعَرِ الحَرَامِ ، وَهُوَ جَبَلٌ بالْمُزْدَلِةِ عِنْدَهُ يَسْتَقْبِلُ الإِنْسَانُ الْقِبْلَةَ وَيَدْعُو اللهَ بِمَا يُحِبُّ ويَلْتَقِطُ مِنْهُ الحَاجُّ حَصَى الْجَمَرَاتِ وعَدَدُهَا ٤٩ حصاةً ثُمَّ يتَوَجَّهُ إِلَى مِنًى

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَبَعْدَهَا يَرْمِي الإِنْسَانُ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ وَيَكُونُ رَمْيُهَا بِسَبْعِ حَصَيات مِمَّا استَحْضَرَهُ من الْمزْدَلِفَةِ أَوْ أَيِّ مَكَان آخرَ .. ولْيَكُن الْحصَى طَاهِرًا مُتَوَسِّطَ الحَجْمِ فِي قَدْرِ حَجْمِ حَبَّةِ الْفُولِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ نَوْعِ الْحَجَرِ .. فَلَا يَجُوزُ الطِّينُ ولَا الْمَعَادِنُ .. والرَّمْيُ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ حَصَاة وَيُكَبِّرُ الإِنْسَانُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ ، وَيَسْتَمِرُّ وَقْتُ رَمْيِ هٰذِهِ الجمرةِ إلى زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَصِلَ الْحَصَيَاتُ إِلَى الْجَمْرَةِ وأنْ يُكَبِّرَ الإِنْسَانُ مَعَ كُلِّ حَصَاة .

وَيَرْجِعُ الحَاجُّ بَعْدَ رَمْيِ الْجَمَرَاتِ إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ يُتَمِّمُ شَعَائِرَ الحَجِّ بِطَوَافِ الإِفَاضَةِ حَيْثُ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ كَمَا طَافَ أَوَّلَ مَرَّةٍ عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَبَعْدَ الطَّوَافِ يَحِلُّ للإِنْسَانِ كُلُّ مَا كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ بِسَبَبِ الإِحْرَامِ فيتَطَيَّبُ ، ويَلْبَسُ الْمَخِيطُ وَيَتَزَيَّنُ كَمَا يَشَاء وَمَا ذٰلِكَ إِلَّا احْتِفَالًا بِالْعِيدِ الأَكْبَرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ .. وَيَعُودُ الحُجَّاجُ ثَانِيَةً إِلَى مِنًى لِقَضَاءِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وهِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وكَأَنَّهَا مَرْحَلَةٌ وُسْطَى بَيْنَ جَوِّ الْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْحَاجُّ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ العَادِيَّةِ الَّتِي سَيَعُودُ إِلَيْهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ وَعَوْدَتِهِ إِلَى مَكَانِ إِقَامَتِهِ ومَحَلِّ سَعْيِهِ لعَمَلِهِ .. وَيَذْبَحُ الْحُجَّاجُ الأُضْحِيَاتِ

وَيُقَدِّمُونَهَا إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ قُرْبَى لله وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ومَغْفِرَتِهِ .. وَفِي يَوْمَيْنِ مِنْ أَيَّامِ الإِقَامَةِ بِمِنًى يَرْمِي الْحَاجُّ الْجَمَرَاتِ الثَّلاثَ مُبْتَدِئًا بِالْجَمْرَةِ الأُولَى والَّتِي يُقَالُ لَهَا الْكُبْرَى ثُمَّ يَرْمِي الْوُسْطَى وَيَخْتِمُ الرَّمْيَ بِجَمْرَةِ العَقَبَةِ .. وَوَقْتُ الرَّمْيِ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْغُرُوبِ ، وَيَتِمُّ هَذَا كَمَا تَمَّ فِي رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ. وَبَعْدَ رَمْيِ الْجَمْرَةِ الأُولَى يَقِفُ الإِنْسَانُ مُسْتَقْبِلًا الْكَعْبَةَ حَامِدًا اللهَ تَعَالَى مُكَبِّرًا مُهَلِّلًا مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَوَقَّفُ مَا يَقْرُبُ مِنْ نِصْفِ سَاعَةٍ تَزِيدُ أَوْ تَنْقُصُ ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الثَّانِيَةَ ثُمَّ يَقِفُ كَذَلِكَ ، وأَمَّا الْجَمْرَةُ الثَّالِثَةُ فَيَنْصَرِفُ بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً إِلَى أَمَامِ الطَّرِيقِ وَلَا يَرْجِع إِلَى الْخَلْفِ حَتَّى لَا يَتَصَادَمَ مَعَ مَنْ بَعْدَهُ .

وَلَيْسَ رَمْيُ مَا يُمَثِّلُ الشَّيْطَانَ بِالحَصَى عَمَلِيَّةً مِيكَانِيكِيَّةً غَيْرَ هَادِفَةٍ كَمَا قَدْ يَتَبَادَرُ إِلَى الذِّهْنِ ، ولَكِنَّهَا حَقًّا عَمَلِيَّةٌ سُلُوكِيَّةٌ ، وَرِيَاضَةٌ نَفْسِيَّةٌ بِهَا يَتَحَلَّلُ الإِنْسَانُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَيُحِسُّ إِحْسَاسَ اليَقِينِ أَنَّهُ قَدْ غَالَبَ شَيْطَانَهُ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وأَنَّهُ طَارَدَهُ حَقًّا فَطَرَدَهُ وَأَصْبَحَ بَعِيدًا عَنْهُ بِحَيْثُ أَنَّ مَا بَيْنَهُمَا هِيَ مَسَافَةٌ يَسْتَطِيعُ فِيهَا أَنْ يَضْرِبَهُ بِالْحَصَى وإِلَى بَعِيدٍ ، وبِذَلِكَ وَقَدْ تَحَلَّلَ مِنَ الذَّنْبِ وَتَحَرَّرَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلَا عَوْدَةَ لَهُ بِإِذْنِ اللهِ إِلى

ذَنْبٍ وَلَا اتِّبَاعَ للشَّيْطَانِ .. وَأَنَّ الإِنْسَانَ بِرَمْيِ هٰذِهِ الْجَمَرَاتِ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ كَمَا تَغَلَّبَ عَلَيْهَا بِهَذَا الرَّمْي سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ وابْنه إِسماعِيلُ وهُمَا مَوْضِعُ مُطَارَدَةِ الشَّيْطَانِ وَمُلَاحقَتِهِ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ الأَمْرُ بسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِلى الاسْتِعْدَادِ لِذَبْحِ وحِيدِهِ إِسْماعِيلَ طَاعَةً لِرُؤْيَا رَآهَا وَوَجَدَهَا أَمْـرًا مِنَ اللهِ .. وَوَصَلَ الأَمْرُ بِسَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ إِلَى الْمُوَافَقَةِ عَلَى مَا يُهِمُّ والِدِهِ بِعَمَلِهِ مِنْ ذَبْحِهِ مُسْتَعِينًا باللهِ حَتَّى يَصْبِرَ ، وفي ذٰلِكَ تَقُولُ آياتُ الْقُرْآنِ الكريمِ :

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فانْظُرْ مَاذَا تَرَى ! قَالَ : يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُـؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)[1] .

وَهَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ يُمْتَحَنُ الإِنْسَانُ بِأَيِّ بَلَاءٍ ؟ ! وَحَقًّا وَصِدْقًا مَا يَقُولُه الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي ذٰلِكَ :

(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ)[2] .

وَقَدْ تَحَلَّلَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ وَسَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ مِن وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ بَعْدَ أَنْ أَلْقَيَا فِي وَجْهِهِ بِحَصَى الأَرْضِ حَتى لَا يَعُودَ

١ — الآية ١٠٢ «سورة الصافات»

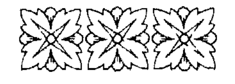
٢ — آية ١٠٦ «سورة الصافات»

إِلَى مُغَالَبَتِهِمَا .

وَلَمْ يَبْقَ لِلْحَاجِّ بَعْدَ ذَلِكَ سِوَى طَوَافِ الْوَدَاعِ ، يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَلَابِسِ العَادِيَّةِ وَبِلَا إِسْرَاعٍ فِي الْأَشْوَاطِ الثَّلَاثَةِ الأُولَى تَحِيَّةً لِلْبَيْتِ الْكَرِيمِ ، وَلَا يَمْكُثُ الإِنْسَانُ بَعْدَ الطَّوَافِ فِي مَكَّةَ إِلَّا لِأَمْرٍ عَارِضٍ أَوْ لِعَمَلٍ خَفِيفٍ فَآخِرُ مَا يَجِبُ أَنْ تَفْعَلَهُ فِي مَكَّةَ أَنْ تَطُوفَ بِالبَيْتِ الشَّرِيفِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الانْصِرَافِ مِن الْحَجِّ بِدُعَاءٍ هَذَا نَصُّهُ :

« آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ .. صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ .. وَنَصَرَ عَبْدَهُ .. وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

وَبِذَلِكَ تَكُونُ قَد انْتَهَتْ مَنَاسِكَ الحَجِّ .. وَيَكُونُ الإِنْسَانُ قَدْ أَدَّى فَرِيضَةً كَتَبَهَا اللهُ عَلَيْهِ .. وَأَتَمَّ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ .



كيف حجّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

« إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ثُمَّ أُذِّنَ فِي النَّاسِ فِي العَاشِرَةِ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ .. فَقَدِمَ الْمَدِينَةِ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ ..

فخرجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ .. فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ – نَاقَةَ الرَّسُولِ – حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلى مَدِّ بَصَرِيِّ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهُ مِثْلُ ذٰلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذٰلِكَ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ .

« لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .. لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ .. إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ .. لَا شَرِيكَ لَكَ » .

« حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ (أَيْ هَرْوَلَ) ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا ، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَرَأَ . (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) ، فَجَعَلَ الْمَقَامَ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) و (قُلْ يَـاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فاسْتَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا .

« فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ . (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ) ، وَقَالَ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ ، فَبَدَأَ بالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى البَيْتَ فاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ وَقَال : «لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

« ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذٰلِكَ ، قَالَ مِثْلَ هذَا ثَلَاثَ مَرَّات ..

« ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدْنَا مَشَى حَتَّى إِذَا أَتَى الْمَرْوَةَ فَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ قَالَ : « لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً . فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُحِلّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً » .

« فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ – وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الحِجَّةِ

تَوَجَّهُوا إِلَى مِنِي فَأَهَلُّوا بالحَجِّ وركِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ والعَصْرَ والْمَغرِبَ والعِشَاءَ والْفَجْرَ ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعْرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ – وَهُوَ مَكَانٌ شَرْقِيَّ عَرَفَات .

« فَسَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ فَنَزَلَ بِهَا .. حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بالْقَصواءِ فَرُحِّلَتْ لَهُ – أَيْ وُضِعَ عَلَيْهَا رَحْلُهَا اسْتِعْدَادًا للرُّكُوبِ – فَأَتَى بَطْنَ الْوَادي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ :

« إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا في شَهْرِكُمْ هٰذَا في بَلَدِكُمْ هٰذَا . أَلَا كلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَميّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بن الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضَعًا في بَنِي سَعْد فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ . وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلَ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا .. رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ .

أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ فإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هٰذِهِ أَبَدًا .. وَلٰكِنَّهُ إِنْ يُطَعْ فِيما سِوَى ذٰلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ »

« أَيُّهَا النَّاسُ . إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللهُ ، وإِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ، وإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثلاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُفْرَدٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

« واتَّقوا اللهَ فِي النِّسَاءِ فإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ » .

ثُمَّ قَالَ :

« وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ .. إِن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ . كِتَابَ اللهِ .. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُون ؟ » .

« قَالُوا . نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ..

« فَقَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ إِصْبَعَه إِلَى السمَاءِ ويَرُدُّهَا مُشِيرًا إِلَى النَّاسِ .

« اللَّهُمَّ اشْهَدْ .. اللَّهُمَّ اشْهَدْ .. اللَّهُمَّ اشْهَدْ » .

« ثُمَّ أَذَّنَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ .. وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا .

« ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى

الْمَوْقِفِ ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْواءِ إِلَى الصَّخْرَاتِ وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْـهِ ، واسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَظَلَّ يَدْعُـو حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ » .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ . « إِنَّ أَكْثَرَ دُعَاءِ مَنْ كَانَ قَبْلِي مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَدُعَائِي يَوْمَ عَرَفَةَ أَنْ أَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي بَصَرِيّ نُورًا .. وفِي سَمْعِي نُورًا .. وفِي قَلْبِي نُورًا ..

« اللَّهُمَّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي .

« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَسْواسِ الصَّدْرِ وَشَتَاتِ الأَمْرِ .. وشَرِّ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وشَرِّ مَا يَلِجُ فِي اللَّيْلِ وشَرِّ مَا يَلِجُ فِي النَّهَارِ وشَرِّ ما تَهُبُّ بِهِ الرِّيَاحُ وشَرِّ بَوَائِقِ الدَّهْرِ » .

وأَرْدَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ – أَيْ أَرْكَبَهُ خَلْفَهُ – وَدَفَعَ مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى مُزْدَلِفَةَ وَكَانَ يَقُولُ : « أَيُّهَا النَّاسُ : السَّكِينَةَ .. السَّكِينَةَ » .

حَتَّى أَتَى مُزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ

وإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا .. ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ وَصَلَّى الْفَجْرَ حِيْنَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ .

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءِ حَتَّى أَتَى المَشْعَرَ الْحَرَامِ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَا اللهَ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ ووحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا - أَيْ أَضَاءَ الصَّبَاحُ - .

فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ ابْنَ عَبَّاسٍ حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ (مَكَانٌ بَيْنَ مِنًى وَمُزْدَلِفَةَ هَلَكَ فِيهِ أَصْحَابُ الْفِيلِ) ، فَحَرَّكَ قَلِيلًا (أَيْ أَسْرَعَ) ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الكُبْرَى حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا مِثْل حَصَى الْحَذْفِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلاثًا وَسِتِينَ بِيَدِهِ . فَلَمَّا أَكْمَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ نَحْرَهُ اسْتَدْعَى الحَلَّاق وَحَلَقَ لِلرَّسُولِ شَعْرَ رَأْسِهِ وَحَلَقَ كَثِيرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقَصَّرَ بَعْضُهُمْ ، وَقَدْ دَعَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلمُحَلِقِينَ بِالْمَغْفِرَةِ ثَلاثًا ولِلْمُقَصِّرِينَ مَرَّةً .

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ ، وبَعْدَ أَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ طَوَافَ الإِفَاضَةِ شَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَصَلَّى

الظهْرَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى فَبَاتَ بِهَا . فَلَمَّا أَصْبَحَ انْتَظَرَ زَوَالَ الشَّمْسِ ، فَلَمَّا زَالَتْ مَشَى مِنْ رَحْلِهِ إِلَى الْجِمَارِ وَلَمْ يَرْكَبْ ، فَبَدَأَ بِالْجَمْرَةِ الأُولَى التِي تَلِي مَسْجِدَ الْخَيْفِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَات واحِدَةً بَعْدَ واحِدَة يَقُولُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ : اللهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ يَقْدمُ عَلَى الْجَمْرَةِ ، فَقَامَ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ودعَا دُعَاءً طَوِيلًا .

ثُمَّ أَتَى إِلَى الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى فَرَمَاهَا كَذَلِكَ ، ثُمَّ انْحَدَرَ ذَا الْيَسَارِ مِمَّا يَلِي الْوَادِيَ فَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو قَرِيبًا مِنْ وقُوفِهِ الأَوَّلِ .

ثُمَّ أَتَى الْجَمْرَةَ الثَّالِثَةَ وَهِيَ جَمْرَة الْعَقَبَةِ فَاسْتَبْطَنَ الْوَادِيَ واسْتَعْرَضَ الْجَمْرَةَ فَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ ومَنِي عَنْ يمِينِهِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيات كَذَلِكَ .

وَلَمَّا أَكْمَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّمْيَ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ الثَّلاثَةِ أَفَاضَ بَعْدَ الظُّهْرِ إِلَى الْمُحْصَّبِ فَصَلَّى الظُّهْرِ والْعَصْرِ والْمَغْرِبَ والْعِشَاءِ ، وَرَقَدَ رَقْدَةً ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مَكَّةَ فَطَافَ لِلْوِدَاعِ لَيْلًا ، وسحَرًا نَادَى بالرَّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ فارْتَحَلَ النَّاسُ .

من أهداف الحج

إِنَّ أَهْدَافَ الْحَجِّ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا تَحْقِيقُ الْخَيْرِ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى وَأَبْعَدُ مِنْ أَنْ يحيط الْإِنْسَانُ بِهَا كُلِّهَا عِلْمًا .. فالإِسْلَامُ دِينٌ وَدُنْيَا دَعَا إِلَى مَا فِيهِ صَالِحُ أَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وإِلَى مَا فِيهِ فَوْزُهُمْ وَنَجَاحُهُمْ فِي الآخِرَةِ .. فَمِنْ أَهَمِّ مَا يَحْرِصُ عَلَيْهِ الإِسْلَامُ إِعْدَادُ الْفَرْدِ إِعْدَادًا طَيِّبًا صَالِحًا حَيْثُ يَبْتَعِدُ عَنْ كُلِّ حَرَامٍ وَعَنْ كُلِّ مَا لَيْسَ بِحَقِّهِ .. وَأَنْ يُؤَدِّيَ كُلَّ حُقُوقٍ لِغَيْرِهِ . وَمَهْمَا حَرَصَ الإِنْسَانُ فَهُوَ لَا بُدَّ أَنْ يُخْطِئَ وَمِنْ ثَمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ فِي الآخِرَةِ .. وَأَنْ يُؤَدِّيَ مَا عَلَيْهِ وهُوَ عِنْدَهُ .. قَبْلَ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُ أَدَاؤُهُ وهُوَ لَيْسَ عِنْدَهُ .. فَعِنْدَمَا يَعْزِمُ الإِنْسَانُ عَلَى أَدَاءِ الْحَجِّ .. نَجِدُهُ يَتَدَبَّرُ حَالَهُ .. وَيَتَفَكَّرُ فِي مَالِه .. أَهُوَ مِنْ حَلَالٍ طَيِّبٍ .. أَمْ بِهِ شُبْهَةٌ يَجِبُ إِزَالَتُهَا .. ثُمَّ يَتَدَبَّرُ لِنَفْسِهِ مَعَ غَيْرِهِ .. مَنْ لَهُ دَيْنٌ عِنْدَهُ .. لَا بُدَّ مِنْ أَدَائِهِ أَيًّا كَانَ الدَّيْنُ .. ذَنْبًا .. أَوْ مالًا .. أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ .. قَلَّ أَوْ كَثُرَ ..

وَبِتَجَرُّدِ الإِنْسَانِ مِنْ كلِّ مَا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ .. مِنْ لِبَاسٍ أَوْ زِينَةٍ .. فَإِنَّهُ يُؤْمِنُ بِطَرِيقٍ عَمَلِيٍّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مُتَسَاوُونَ أَمَامَ اللهِ .. لَا غَنِيَّ وَلَا فَقِيرَ .. وَلَا أَمِيرَ أَوْ عَامِلًا .. وَلَا قَوِيَّ أَوْ

ضَعِيفًا .. إِنَّمَا كُلُّهُمْ عِبَادُ اللهِ قَدْ وَقَفُوا بِبَابِهِ عَلَى هَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِصُورَةٍ وَاحِدَةٍ .. وَفِي التَّقْوى الطَّرِيقُ إِلَى التَّفَاضُلِ بَيْنَهُمْ .. وَبِالْعَمَلِ الصَّالِحِ سَيَكُونُ تَرْتِيبُهُمْ .. فَيَنْزِعُ الْحَجُّ مِنْ نَفْسِ النَّاسِ أَيَّ مَشَاعِرِ قَدْ تَكُونُ مُتَوَلِّدَةً فِيهَا بِالْكِبْرِ وَالْغُرُورِ .. كَمَا يَنْزِعُ كَذٰلِكَ مِنْهَا الشُّعُورَ بِالذَّنْبِ وَالْإِحْسَاسَ بِالْخَطَأَ بِطَرِيقٍ عَمَلِيٍّ عِنْدَمَا يَرْمِيَ الشَّيْطَانَ بِالْجَمَرَاتِ ..

وَيَنْغَرِسُ فِي نَفْسِ الإِنْسَانِ الاعْتِمَادُ الْحَقُّ عَلَى اللهِ وَحُسْنُ التَّوَكُّلِ وَخُصُوصًا بَعْدَ أَنْ تَدبَّرَ وَهُوَ يَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَعْيَ هَاجَرَ .

إِنَّ الْحَجَّ إِنَّمَا يُعِيدُ الإِنْسَانَ مَرَّةً أُخْرَى بِلَا أَخْطَاءٍ .. وَيَمْسَحُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ .. وَبِذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِ الْحِفَاظُ عَلَى طَهَارَةِ نَفْسِهِ حَتَّى يَلقى اللهِ هٰكَذَا بِلَا ذُنُوبٍ وَبِلَا أَخْطَاءٍ .

وَيَحْرِصُ الإِسْلَامُ عَلَى جَمْعِ شُعُوبِهِ فِي وَحْدَة قَوِيَّة وَتَوحِيد مُطْلَق . فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُقَرِّرُ أَنَّ أُمَّةَ الاِسْلَام أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَذٰلِكَ بِالنَّصِّ الشَّرِيفِ : (إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[1] . وَلِذٰلِكَ فَقَدْ حَبَّبَ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَة بِحَيْثُ يُؤَدِّيهَا الإِنْسَانُ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهَا مَعَ مَنْ يُجَاوِرُونَهُ.. وَأَمَّا إِذَا لَمْ

١ – آية ٩٢ «سورة الأنبياء»

تَسْنَحُ للإِنسَانِ فُرْصَةُ الجمَاعَةِ في أَوْقَاتِ الْصَّلاَة .. فَلَقَدْ فرَضَ صَلاَةَ الْجُمُعَةِ تُؤَدَّى مَرَّةً كُلَّ أُسْبُوعٍ جمَاعَةً بِحَيْثُ تَجْمَعُ شَمْلَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ اللِّقَاءَ عَلَى مَدَى الْأُسْبُوعِ ، وَتَجْتَمِعُ فِي هٰذِهِ الصَّلاَة جُمُوعُ أَهْلِ الْحَيِّ .. وَكَذٰلِكَ في صَلاَةِ الْعِيد .. فَقَدِ اجْتَمَعَ الأَقْرَبُونَ في صَلاَةِ الْفَرِيضَةِ الْيَوْمِيَّةِ .. واجْتَمَعَ جَمْعٌ أَوْسَعُ في صَلاَةِ الجُمُعَةِ .. ثُمَّ في الْحَجِّ يَجْتَمِعُ الْجَمْعُ الأَكْبَرُ حَيْثُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ دَوْلَة .. وَمِنْ كُلِّ بَلَد ومِنْ مُخْتَلِفِ أَنْحَاءِ الدُّنْيَا وَبِذٰلِكَ تَتَوَحَّدُ مَشَاعِرُهُمْ وَتَتَقَارَبُ أَفْكَارُهُم .. وتَتَحَقَّقُ وَحْدَتُهُمْ الْمَفْرُوضَةُ والْمُقَرَّرَةُ لَهُمْ ..

واجْتماعُ الحجَّاجِ في فرِيضَةِ الحَجِّ إِنَّمَا هُوَ مُؤْتَمَرٌ عَامٌّ لِلْمُسْلِمِينَ حَيْثُ تُعْرَضُ مِنْهُمْ أَحْوَالُهُمْ وشُئُونُهُمْ .. يَتَذَاكَرُونَ مَا هُمْ فِيهِ .. وَيُخَطِّطُونَ فِيهِ لِمُسْتَقْبَلِهِمْ .. وَيَتَمَيَّزُ اجْتِمَاعُ الحجِّ بِمَا لاَ يَتَمَيَّزُ بِهِ أَيُّ مُؤْتَمَرٍ آخر .. فالْمُؤْتَمَرَاتُ تُعْقَدُ ويُحَدِّدُهَا هَدَفٌ وَاحِدٌ وبِذٰلِكَ يَتَلَوَّنُ الْمُؤْتَمَرُ بِلَوْنِهَا .. فالْمُؤْتَمَرُ الاقْتِصَادِيُّ يجْتَمِعُ ويَبْحَثُ شُئُونَ الاقْتِصاد ، والْمُؤْتَمَرُ الْعَسْكَرِيُّ هُوَ مَا يَخْتَصُّ بالنَّاحِيَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، والْمُؤْتَمَرُ السِّيَاسِيُّ هُوَ مَا يَدْرُسُ سِيَاسَةَ الدُّوَلِ الْمُجْتَمِعَةِ فِيهِ ، والْمُؤْتَمَر الثَّقَافِيُّ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بالنَّاحِيَةِ الثَّقَافِيَّةِ .. والْمُؤْتَمَرُ الإِعْلاَمِيُّ .. أَوْ الصِّحِّيُّ .. أَوْ مُؤْتَمَر

الحدُودِ وغَيْرُ ذٰلِكَ . ولم نَشْهَدْ مُؤْتَمرًا يَنْعَقِدُ لِيَشْمَلَ كُلَّ هٰذِهِ النَّواحي عَدَا مُؤْتَمَرَ الحَجِّ فَهُوَ مُؤْتَمَرٌ يَبْحَثُ كافَّةَ نَواحي الاجْتِمَاعَاتِ الَّتي تُعْقَدُ بَيْنَ عَديدٍ مِنَ الأَطْرَافِ .. ويتميَّزُ مُؤْتَمرُ الحَجِّ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ كافَّةِ الْمُؤْتمراتِ بالدَّوْريَّةِ المسْتَمِرَّةِ لانْعِقَادِهِ .. فأيُّ مُؤْتَمَرٍ إِنَّمَا يَنْعَقِدُ مَرَّةً .. وَقَدْ يَنْعَقِدُ مَرَّةً أُخْرَى .. يُحَدَّدُ مَوْعِدُهَا .. أَوْ يُتْرَكُ للظُّرُوفِ .. ثُمَّ يَنْتَهِي الاجْتِمَاعُ لامَحَالَةَ بِلَا عَوْدَة .. بَيْنَمَا مُؤْتَمَرُ الحَجِّ إِنَّمَا يَنْعَقِدُ مَرَّةً كُلَّ عَامٍ وَفي شَهْرٍ مُحَدَّدٍ وَأُسْبوعٍ مُعَيَّنٍ بَلْ وَفي أَيَّامٍ مُقَرَّرَة حَيْثُ لَا دَعْوَةَ لَهُ .. إِلَّا أَمْرُ القُرْآن الْكَرِيمِ .. وَلَيْسَ بَعْدَ أَمْرِ اللهِ مِنْ أَمْرٍ ..

وَفي هٰذَا الْمُؤْتَمرِ يَتَذَاكَرُ الحُجَّاجُ مَا كَانَ في عَامِهِمُ السَّابقِ .. وَمَا تَمَّ تَنْفِيذُهُ وَمَا طَرَأَ عَلَى حَالِهِمْ وَفِيهِ يَتِمُّ التخطيطِ لِلعَامِ الْقَابِلِ ..

وَبذٰلِكَ تَجْتَمِعُ فيهِ الدُّوَلُ تَتَدَارَسُ أَمْنَهَا واقْتِصَادَهَا وَثَقَافَتَهَا .. وتَتَعَاوَن عَلَى حَل مَشَاكِلِهَا .. وَهَلْ مِنَ اجْتِماعٍ يُمَاثِلهُ وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ كلُّ دُوَلِ العَالَمِ عَلَى اخْتِلَاف سِيَاسَتِهَا وَأَلْوَانِهَا .. مِمَّا يُمَيِّزُ مُؤْتَمرَ الْحَجِّ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الاجْتِمَاعَاتِ الَّتي إِنْ انْعَقَدَتْ فَبَيْنَ الدُّوَلِ الْمُتَمَاثِلَة في سِيَاسَتِهَا الْمُتَقَارِبَة في خَطِّهَا الْمَرْسُوم لَهَا .. وَبَدِيهِيٌّ أَنَّ مَشَاكِلِ الأَفْرَادِ كَذَلِكَ تُوضَعُ مَوْضعَ الْحَلِّ في

هٰذَا اللِّقَاءِ الأَخَوِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي يَتَجَرَّدُ فيه كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْ أَيَّةِ أَنَانِيَّةٍ وأَيَّةِ أَثَرَةٍ وأَيِّ نَزْعَةِ كِبْرٍ.

فالْحَجُّ اجْتِمَاعٌ دُنْيَوِيٌّ كَبِيرٌ .. وَهُوَ تَمْهِيدٌ للاجْتِمَاعِ الكَبِيرِ في الآخِرَةِ .. فيه تُقْضَى مَصَالِحُ الْعِبَاد والدُّوَلِ .. وبِهِ يَسْتَعِدُّ الْإِنْسَانُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ .. فَيَتَحَلَّلُ منْ ذَنْبِه .. وَيَتَحَرَّرُ منْ خَطَئِه .. وَيَكْسَبُ أَجْرَ حَجِّه .. وَيَدَّخِرُ ثَوَابَ عَمَلِه .. ما أَعْظَمَ الْمَنَافِعَ الَّتِي يُحَقِّقُهَا الْحَجُّ للإِنْسَانِ الفردِ والْمُجْتَمَعِ !! وصَدَقَ اللهُ العَظِيمُ الَّذي يَقُولُ .

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَـأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَـأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) [1] .

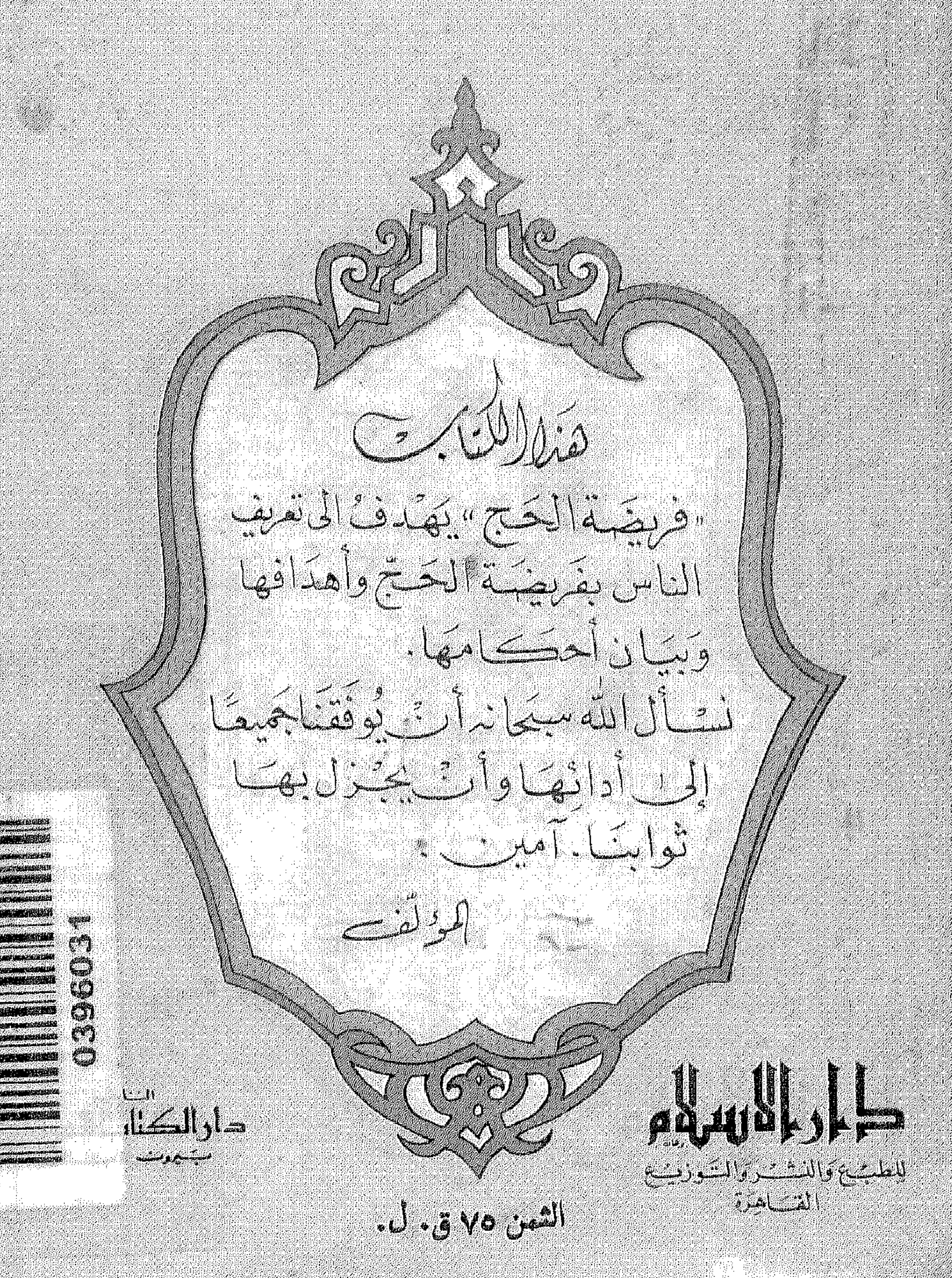
صدق الله العظيم

١ – الآيتان ٢٧ – ٢٨ «سورة الحج»








هذا الكتاب
"فريضة الحج" يهدف الى تعريف
الناس بفريضة الحج وأهدافها
وبيان أحكامها.
نسأل الله سبحانه أن يوفقنا جميعا
إلى أدائها وأن يجزل بها
ثوابنا. آمين.
المؤلف
دار الإسلام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة
دار الكتا
بيروت
الثمن ٧٥ ق. ل.